المبحث الرابع
خطة البحث

إن المتأمل في شئون الحياة كافة يلاحظ أن الأمور أصبحت أكثر تعقيداً من ذي قبل، لهذا أصبحت عملية التخطيط المسبق للعمل الذي سيقوم به الإنسان ضرورة من ضرورات الحياة التي لا غنى عنها، ومن هنا كانت أهمية خطة البحث التي تسبق البحث العلمي، وهي عملية تترتب عليها نتائج خطيرة على مستوى الأمم.

ويمكن أن نعرّف خطة البحث بعبارة مختصرة بأنها: «التصور المسبق لطريقة تنفيذ البحث».

ولذلك تصبح خطة البحث مطلباً أساساً في الأبحاث.

فخطة البحث هي التصور المستقبلي لطريقة جمع المادة العلمية للبحث، ولطريقة معالجتها أو تحليلها، وطريقة عرض النتائج للبحث بعد التنفيذ.

وخطة البحث تشبه المخطط الذي يعده المهندس المعماري مع زميله الإنشائي، والمواصفات التي يضعانها لمواد البناء، وللطريقة العامة التي تتم بها تنفيذ العمل، وتصور لو أن أحداً حاول إقامة بناء منزل بدون مخطط فماذا ستكون النتيجة؟! وهذا شيء ملموس يسهل لأي أحد أن يدرك الخلل فيه؛ فأي ضياع وتبديد لثروات الأمة والأوطان ينتج عن ركام الأبحاث التي يقوم الكثير بتنفيذها بدون تصورات واضحة لما سيقوموا به؟.

وخطة البحث تشمل الخطوات شبه التفصيلية، والقواعد التي سيلتزم بها الباحث أثناء عملية البحث؛ وهي بمثابة الشروط في العقود التي تضم طرفين أو أكثر، وليس المهم أن نعطي هذه الالتزامات أو الشروط اسماً معيناً مثل: وصفي، استنباطي، استقرائي، ترجيحي [1] ... فهذه العبارات في ذواتها لا تفيد كثيراً عن الشروط

(١) انظر في هذا البحث (ص:٣٥).

التي يتم الإنفاق عليها.

المهم: أن يفصل الباحث خطوات بحثه والقواعد التي ينوي اتباعها ما أمكن، فمثل هذا التفصيل يقلل من فرصة إلزام الجهات المشرفة الباحثَ بأشياء إضافية، قد تكون غير عادلة، ومن جهة أخرى فإن التفصيل يقلل من فرص التأويلات والتفسيرات التي تجعل الخطة طوع هوى الباحث... أو طوع هوى المشرف..[١].

فائدة خطة البحث للباحث:

هناك فوائد مهمة للباحث، وكذلك للجهات المتبنية للبحث؛ ومن أهمها ما يلي:

[١] الخطة الجيدة تعين الباحث على تحديد الهدف من دراسته بالدقة المطلوبة؛ لأن الباحث بدون الجهود التي تسبق إعداد الخطة الجيدة لا تتوفر لديه -في العادة- صور عميقة عن موضوع البحث وتفريعاته وحدوده، فيلتزم بما لا يتفق مع المدة الزمنية المحددة له، والإمكانات المتاحة.

[٢] الخطة تعين الباحث على تحديد الطريق الميسر، الذي يؤدي به إلى الهدف المحدد بسهولة.

[٣] تساعد الباحث في تصور العقبات التي قد تعترضه عند تنفيذ الخطة فيصرف النظر عن الموضوع إذا كانت مشكلة الدراسة فوق إمكانات الباحث الزمنية أو المادية...؛ أو يستعد لتلك العقبات قبل البدء في تنفيذ البحث، وبهذا يجنب نفسه الوقوع في مأزق يجعله يندم فيما بعد على اختيار الموضوع أو ربما عدم الاستعداد الكافي له.

[٤] الخطة تضمن للباحث توفير الوقت والجهد والمال، فلا يضطر إلى تغيير موضوعه وقد سار فيه خطوات، أو إلى العودة مرات متكررة إلى مصادر المادة العلمية، ولا سيما إذا كانت تستوجب سفراً مكلفاً أو تستوجب اجتياز صعوبات يتسبب عنها ضياع وقت وجهد.

---

(١) قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد صيني (ص:١٢٩).

[٥] الخطة تجنب الباحث الوقوع ضحية لمشرف أو لجنة تطالبه بأعباء إضافية أو تغييرات غير محدودة، ولا يستفيد منها البحث إلا قليلاً، ولا تساوي الجهود التي تبذل من أجلها.

[٦] الخطة تساعد الباحث واللجنة المجيزة للخطة على تقويم البحث حتى قبل تنفيذه؛ وذلك من حيث أهميته، وحجم المجهود الذي يتطلبه البحث، وقدرة الباحث، ووضوح منهجه (١).

[٧] ولأهمية خطة البحث فإن بعض الجامعات تختم أو توثق كل صفحة من صفحات الخطة وتبقى هذه الخطة الموثقة لدى القسم المختص وعلى ضوئها يحاسب الطالب...

وخلاصة القول:

إن خطة البحث وجودة البحث لا تقاس بعدد الصفحات الكثيرة للخطة أو بكثرة البحث وعدد صفحاته، ولكن بقيمتها العلمية المستمدة من قوة المنهج ودقة التنفيذ؛ فمن الاكتشافات العلمية التي خدمت الإنسانية خدمة قيمة ما كان وراءها العشرات من السنين من البحث المضني، ومع هذا لم يستغرق كتابة تقريرها سوى صفحات قليلة (٢).

والغالب في خطة البحث أنها تشمل على العناصر الآتية:

[١] **العنوان**: وقد سبق الحديث عنه (٣).

[٢] **المقدمة**: وفيها لمحة موجزة ومركزة عن البحث والعناصر العامة فيه.

[٣] **أهمية الموضوع**: ويذكر الباحث فيه القيمة العلمية والعملية لبحثه، وإبراز أهم جوانب القوة والتميز في بحثه، والإضافات العلمية التي سيقوم بها الباحث.

---

(١) قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد صيني (ص: ١٣٠).
(٢) المرجع نفسه، (ص: ١٣٠).
(٣) انظر: (ص: ٨٢) من هذا البحث.

[٤] **منهج البحث وطريقته** (أو منهجيتي في البحث) .

وتعني هذه الكلمة بشكل عام حينما أطلقت : « فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة؛ من أجل الكشف عن الحقيقة »، فيتعرض الباحث إلى كيفية العرض، وطرح قضايا الموضوع، والوسائل التي سيسلكها الباحث ليصل إلى النتائج المطلوبة، بحيث يبدو البحث وطرقه ووسائله واضحة المعالم . . .[١] .

ومن ذلك على سبيل المثال:

(أ) منهجه في هذه الرسالة من حيث المصادر، وأنه سوف يعود إلى أمهات الكتب وإسناد كل رأي إلى قائله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

(ب) أقتصر - مثلاً - في بحثي هذا على المذاهب الأربعة، ولا أخرج عنها إلا في النادر .

(ج) أُبَيِّنُ مواضع الآيات القرآنية . . .

(د) أخرج الأحاديث، فإن كان الحديث في الصحيحين لم أعز لأحد غيرهما، وكان ذلك علامة كونه متفقاً عليه، وإن كان في أحدهما اقتصرت على عزوه إليه، وإن لم يذكره أحدهما تتبعت من ذكره ما أمكنني ذلك، وذكرت درجة الحديث ما أمكن، وقد أستشهد بتصحيح بعض علماء الحديث المعاصرين، وذلك من باب الاستئناس على صحة الحديث .

(هـ) أُبَيِّنُ معاني الكلمات الغامضة فيما يظهر لي أنه يحتاج إلى بيان من مراجعها الأصيلة .

(و) أترجم للأعلام الذين أرى من وجهة نظري أنهم يستحقون للترجمة، ولم أترجم للمشهورين من الصحابة وأئمة المذاهب الأربعة .

[٥] **الدراسات السابقة** : وهذه تذكر أحياناً ولا تذكر أحياناً أخرى؛ لأن الأصل في الباحث أنه قد اطلع على الدراسات السابقة عند إعداد البحث، ولا مانع

---

(١) كتابة البحث العلمي -صياغة جديدة-، د. عبد الوهاب أبو سليمان (ص: ٦٠) .

أن يختار الطالب أهم الدراسات السابقة في بحثه؛ وفائدة ذكر الدراسات السابقة أمرين مهمين:

(أ) تفادي التكرار في البحوث.

(ب) إيجاد الأسباب المقنعة لدراسة الموضوع الذي تم اختياره.

ويجب أن يذكر الباحث أن سبب اختياره لموضوع سبق بحثه أو مشكلة سبق دراستها، أن دراسته الجديدة لهذا الموضوع تتميز بالآتي:

(أ) تقويم الدراسات السابقة.

(ب) إبراز قدرة الباحث العلمية.

(ج) هناك جوانب لم تكن في اهتمام الباحثين السابقين.

(د) أو أقدم نتائج أخرى متقدمة وجديدة عما سبق من دراسات سابقة (١).

ويبقى السؤال الأهم: ماذا يراجع الباحث من الدراسات السابقة؟

يواجه الباحث المبتدئ صعوبة بالغة عندما يبدأ بإعداد هذه الخطوة (مراجعة الدراسات السابقة)، والصعوبة تكمن في عدم معرفته ماذا يراجع؟ ولهذا يُلاحظ أن بعض الباحثين المبتدئين يسمون الأشياء بغير مسمياتها الحقيقية، فهناك من يرجع إلى الكتاب الذي تناول النظرية فيعده دراسة سابقة، وأحياناً يورد مقالاً صحفياً على أنه دراسة سابقة ، وهكذا.

ولهذا لابد من تحديد إجابة واضحة لسؤال (ماذا يُراجع؟) ، هل هي الكتب التي تناولت مشكلة البحث؟ ، أو البحوث الأكاديمية (الرسائل العلمية) فقط؟ ، أو البحوث التي تنشر في الدوريات؟، أو التوصيات والمؤتمرات والندوات العلمية؟ ، أو الكتب الإحصائية؟ ، أو غير ذلك من تقارير وصحف ومجلات أو محاضرات وأشرطة وخطابات رسمية.. إلخ.

لعل العبارة المقترحة (مراجعة الدراسات السابقة) تجلي هذا الغموض، وتملي

---

(١) راجع: د. عبد الوهاب أبو سليمان -مرجع سابق- (ص: ٦٠).

الإجابة الصحيحة على هذا التساؤل، فالذي يُراجع هو الدراسات العلمية وحدها التي لها علاقة مباشرة بمشكلة البحث ككل أو بجانب من جوانبه، وهذا يشمل:

- **الرسائل العلمية**: المنشورة وغير المنشورة.
- **البحوث العلمية**: المنشورة وغير المنشورة.

وسواء أكان النشر في دورية علمية أم بصورة كتاب مطبوع.

أما ما عدا ذلك من كتب تناولت نفس المشكلة، أو تقارير، أو صحف ومجلات، أو أشرطة ومحاضرات، أو خطابات رسمية... إلخ.

فيستفيد منها الباحث في توضيحه لأهمية البحث وإطاره النظري؛ ولكنها ليست دراسات سابقة، إلا إذا كانت عبارة عن دراسة علمية ألقيت بمحاضرة عامة أو سجلت على شريط فتعد حينئذٍ دراسة سابقة، ولكن لا يرجع لها الباحث إلا اضطراراً كأن يتعذر عليه أن يرجع إلى الدراسة المكتوبة.

لماذا تُراجع الدراسات السابقة؟

يراجع الباحث الدراسات السابقة التي تناولت مشكلة بحثه أو جانباً منها بغرض تحقيق هدف رئيس واحد، وعدة أهداف فرعية.

فالهدف الرئيس: يكمن في التأكد من أنه لا يبحث مشكلة تم بحثها من قبل، وإنما بدأ مما انتهى منه الآخرون من الباحثين، والباحث بتحقيقه لهذا الهدف يطمئن من أن ما سوف يقوم به من جهد علمي ومادي سيكون له مردود واضح وتحظى نتائجه بثقة جيدة وأهمية بالغة.

وعلاوة على ذلك يطمئن الباحث ويطمئن القسم المجيز للموضوع بأن البحث لم يبحث من قبل.

أما الأهداف الفرعية التي تتحقق بمراجعة الدراسات السابقة فمن أهمها:

(أ) تحديد مشكلة البحث والمساعدة على ذلك.

(ب) طرق جوانب جديدة لم تطرق من قبل.

(ج) التبصر في طرق البحث.

(د) تجنب النمطية [١] في البحوث؛ أي: عدم تكرار الطريقة والأسلوب.

(هـ) الاستفادة من توصيات الباحث [٢].

[٦] صعوبات البحث:

يمكن أن يذكر الباحث أهم الصعوبات التي واجهته في إعداد بحثه أو الصعوبات التي يمكن أن تواجهه في المستقبل ـ كتعلم لغة ـ مثلاً...

[٧] خطة البحث: وهنا يذكر الباحث خطة بحثه تفصيلاً فيقول:

لقد اشتملت هذه الرسالة أو هذا الموضوع على فصل تمهيدي وخمسة أبواب وخاتمة، وبيان ذلك على الوجه الآتي: (ويذكر الخطة كما سنعرف ذلك في النموذج المقترح لخطة بحث...).

[٨] الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج المستخلصة من البحث والتوصيات.

[٩] المراجع.

[١٠] الفهارس (بجميع أنواعها، وحسب ما يراه الطالب).

وأفضل للباحث أن يذكر في خطة البحث هذه العبارة:

هذه هي خطة البحث وهي قابلة للتعديل والزيادة والتقديم والتأخير حسب ما تقتضيه طبيعة البحث.

---

(١) النمطية لها عدة معان في اللغة، منها:
[١] النمط ضرب من البُسُط.
[٢] الطريقة والأسلوب.
[٣] الجماعة من الناس أمرهم واحد.
[٤] الصنف أو النوع أو الطراز من الشيء. (المعجم الوجيز، ص: ٦٣٥).

(٢) راجع: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح العساف (ص: ٦٥).

المبحث الخامس
مصادر أو (مراجع) البحث

المصادر والمراجع اصطلاحان يطلق كل منهما على طائفة من الكتب تفيد الباحث في أبحاثه، وكل طائفة منهما تتميز بميزات تفصلها عن الأخرى.

فالمصدر: هو الكتاب الذي يبحث في علم من العلوم بطريقة فيها من الشمول والتعمق ما يجعله أصلاً لا يمكن لباحث في ذلك العلم الاستغناء عنه، فكتاب تفسير الطبري ـ مثلاً ـ مصدر؛ لأنه أصل من الأصول التي لابد للباحث في علم التفسير أن يرجع إليه.

والجامع الصحيح للبخاري وصحيح مسلم، من الأصول والمصادر في علم الحديث، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، أو كتاب مروج الذهب للمسعودي من المصادر التي لا يستغني عنهما دارس التاريخ الإسلامي، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، والشعر والشعراء لابن قتيبة من المصادر اللازمة لطالب اللغة العربية وآدابها.

أما الكتب التي اعتمد أصحابها في تأليفها على هذه المصادر، أو تناولت جزئية -صغيرة- ولم تتوسع في دراسة ما عداها، فقد اصطلح على تسميتها بالمراجع، فكتاب مشاهد القيامة في القرآن الكريم، للأستاذ سيد قطب - مثلاً - أو كتاب أصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب، وغير ذلك من الكتب التي ألفت تبعاً للمصادر الأصلية: إنما هي مراجع.

وعلى هذا نستطيع أن نقول: إن الكتب التي تمثل أصولاً في علم من العلوم بحيث لا يستغني الباحث في هذا العلم عنها تعد مصادر، أما تلك التي اعتمدت على هذه الأصول وعالجت جوانب منها وأخرجتها في ثوب جديد، فإنما هي مراجع.

وكما أن الباحث ملزم بالرجوع إلى المصادر والإفادة منها لا يُعْفَى من الرجوع

- أيضاً - إلى المراجع لتقليب النظر فيها، والاستفادة منها في موضوع بحثه.

غير أن المراجع لا تكون في منزلة المصادر؛ لأن بعض أصحاب هذه المراجع قد يسيئون فهم ما كتب في المصادر الأصلية، أيلونون المادة العلمية في كتبهم بلون خاص -عقدي أو فكري- يبعدها عن الفكرة التي سيقت لها في المصدر (١).

وبعد هذا البيان: هل هناك فرق بين المصدر والمرجع؟

يقسم علماء البحث العلمي والدراسات المنهجية المصادر إلى قسمين:

(أ) مصادر أصلية.

(ب) مصادر ثانوية؛ ويسميها بعض الباحثين بـ(المراجع). والفرق بينهما:

[١] المصادر هي أقدم ما يحوي مادة عن موضوع ما،وبعبارة أخرى: هي الوثائق، والدراسات الأولى منقولة بالرواية، أو مكتوبة بيد مؤلفين ثقات... وصاحب كل فكرة جديدة يعد مصدراً في مجالها... أو بعبارة موجزة: أقدم ما كُتب في الموضوع (الكتب القديمة).

[٢] المصادر الثانوية (المراجع):وهي التي تعتمد في مادتها العلمية على المصادر الأساسية الأولى، فتتعرض لها بالتحليل أو النقد، أو التعليق أو التلخيص.

ونضرب لذلك مثالاً يُبين الفرق بين المصدر الأساسي والمصدر الثانوي (المرجع)، فمثلاً: لو أراد باحث القيام بدراسة لآراء الإمام أبي حامد الغزالي -رحمه الله- في علم أصول الفقه؛ فإن مؤلفاته في علم الأصول هي: التحرير، المتحول، المستصفى، شفاء العليل، ومجموع هذه المؤلفات تعد مصدراً أساساً في البحث، أما الأعمال العلمية الأخرى التي قامت على دراسة هذه المؤلفات من بحوث، وشروح، وحواش، ومختصرات، فإنها تعد مصادر ثانوية؛ أي: مراجع.

[٣] وذهب بعض الباحثين مذهباً آخر هو: أن كلمة (المرجع) تعني كل شيء رجع إليه الباحث أثناء بحثه فأفاد منه فائدة... (٢)

---

(١) مناهج البحث والمصادر، د. محمد السعيد جمال الدين (ص:٥٥).

(٢) راجع: كتابة البحث العلمي - صياغة جديدة -، د. عبد الوهاب أبو سليمان، (ص:٧٠)، وللتوسع راجع: مناهج البحث وتحقيق التراث، د. أكرم العمري، (ص:٦٩) وما بعدها.

المبحث الخامس
مسودة البحث

يبدأ البحث عادة بالمقدمة التي تعتبر المفتاح الحقيقي للرسالة، والغالب أن المقدمة تكتب بعد الانتهاء من البحث كاملاً؟ والأولى تأخير تدوينها... وسأتحدث عنها بالتفصيل عند الحديث في فصل (البحث في شكله الأخير).

والمهم في كتابة المسودة أن تكون سطراً بعد سطر، والمحافظة على إبقاء الهوامش الجانبية، فإن هذا سيمكن الباحث من إصلاح الجمل الضعيفة المبنى، وإضافة ما قد يطرأ من أفكار جديدة، وفي هذا توفير للوقت والجهد دون الحاجة إلى إعادة كتابة الصفحة مرة ثانية.

والكتابة الجيدة تتطلب الدربة والمران الطويل، ومعالجة الأساليب ذات الأغراض المختلفة؛ وبهذا تتكون لدى الفرد ملكة الكتابة، وتتوارد على ذهنه الخواطر حال ما يمسك بالقلم.

ومن الوسائل الناجحة للمبتدئين في كتابة البحوث الطريقة الآتية:

البدء بكتابة المسودة الأولى للفصل الأول -مثلاً- من البحث، ثم العمل على تنقيحه بعناية شديدة.

ثم العودة إلى كتابته مرة ثانية ومعاودة تنقيحه للمرة الثانية، ثم العودة إلى كتابته مرة ثالثة؛ ثم الكتابة النهائية، وهذه الطريقة لا شك في صعوبتها؛ لكنها أسلوب ناجح لتطوير الأسلوب الكتابي.

ومما ينبغي الاهتمام به في كتابة المسودة في البداية الاهتمام بالأفكار بصرف النظر عن الأسلوب والصياغة؛ فإنه متى دونها وعقلها من أن تنفلت منه جاءت مراحل تطويرها أسلوباً وصياغة فيما بعد شكل تلقائي؛ إذ المهم في هذه المرحلة هو إبراز أفكار البحث إلى الوجود.